

الاتجاه الصوفي في التفسير

Harda Armayanto

International Islamic University, Malaysia
Email: harda@unida.gontor.ac.id

Abstract

This article discusses Sufi objectives in the interpretation of al-Qur'an. The Sufi interpretation nomenclature itself has many variants; some call it tafsīr isyārīy, tafsīr bāṭinīy, tafsīr faidīy, etc. The Moslem scholars have different view on the kinds of the interpretation; some of them accept it and some refuse it. Those who refuse it usually equate the interpretation with the tafsīr bathinīy which is mostly carried out by Shia's followers. By referring to several books of experts in the field of ulūm al-Qur'an, the authors find that there are differences between Sufi interpretations and tafsīr bāṭinīy. The difference can be referred to the purpose of each interpretation. This article discusses it and the purpose of each interpretation, so it is found that Sufi interpretation is not kind of tafsīr bāṭinīy.

Keywords: *Ittijāh, Sufi Interpretation, Tafsīr Bāṭinīy, Sufism, Sufi.*

Abstrak

Artikel ini membahas tentang tujuan sufi dalam penafsiran al-Qur'an. Nomenklatur tafsir sufi sendiri memiliki banyak varian; ada yang menyebutnya sebagai tafsīr isyārīy, tafsīr bāṭinīy, tafsīr faidīy, dan lain-lain. Para ulama berbeda pendapat mengenai status tafsir ini; ada yang menerima dan ada yang menolak. Mereka yang menolak biasanya menyamakan tafsir ini dengan tafsīr bāṭinīy, yang banyak dilakukan oleh pengikut Syi'ah. Dengan merujuk beberapa buku para pakar yang ahli di bidang ulūm al-Qur'an, penulis menemukan bahwa terdapat perbedaan antara antara tafsir sufi dan tafsīr bāṭinīy. Perbedaan itu dapat dirujuk pada tujuan dari masing-masing tafsir. Artikel ini membahas perbedaan itu dan tujuan masing-masing tafsir, sehingga ditemukan bahwa tafsir sufi bukanlah tafsīr bāṭinīy.

Kata Kunci: *Ittijāh, Tafsir Sufi, Tafsīr Bāṭinīy, Tasawuf, Sufi.*

مقدمة

يقدم هذا البحث الاتجاه الصوفي في تفسير القرآن الكريم الذي يتضمّن فيه رؤية منهجية، وقواعد، ونموذجيات. وكان التفسير الصوفي واحداً من أنواع تفسير القرآن الكريم ولكن بعدد قليل، أي أنّ كونه نادراً في المكتبة العربية. وعكس ذلك أننا نستطيع أن نجد عدداً غير قليل من التفاسير التي تتناول النصّ القرآني في ضوء اللغة العربية، أو الإعراب، أو البلاغة، أو الفقه، أو أسباب النزول، أو التشريع، أو القصص والأخبار، أو نحو ذلك.^١ وهذا النادر لوجود اختلاف العلماء فيه: منهم من أجازته، ومنهم من منعه، ومنهم من عدّه من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زيغاً وضلالاً وانحرافاً عن دين الله تعالى.^٢ ومن قام ببحرود هذا التفسير يرى أنّه قد دخلت عليه بعض التأويلات الفاسدة التي جاءت من عند الفرقة الباطنية ومن تبع مسلكتهم، وذلك بتحريف ألفاظ القرآن أو معانيه.^٣

ورغم ذلك أننا نعترف أنّ الصوفيين مع تعاليمهم أعطوا سهماً كبيراً في إصلاح المجتمع، خصوصاً في إرشاد طريقة تزكية أنفسهم وتحسين أخلاقهم. ولذلك قام الدكتور جودة محمّد أبو اليزيد المهدي بمدافعة هذه الحركة لحجج أنّ التصوّف علّم كيفية السلوك إلى ملك الملوك؛ وأنه علّم القوامية لله على النفس استجابة لقول تعالى في سورة النساء: ٥٣١: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ»؛ وأنه علّم أيضاً مقام الإحسان الذي هو ركن الدين الثالث بقول سيد الخلق ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم يكن تراه فإنه يراك»^٤

^١ إبراهيم البسيوني، لطائف الإشارات، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢)، ج. ١، ٣.

^٢ محمّد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، (تهران: دار إحسان، د.ت.)، ٢٧١.

^٣ نفس المرجع، ٨١.

^٤ جودة محمّد أبو اليزيد المهدي، الاتجاه الصوفي عند أئمة تفسير القرآن الكريم، (القاهرة: الدار الجودية، ٧٠٠٢)، ٦-٧.

وأيضاً أننا نعترف أنّ لكلام الله تعالى مفاهيم وأسراراً، ونكتاً ودقائق، وعجائب لا تنقضي، كلّها تحتاج إلى بيان عميق من ذهن وقلب العلماء المخلصين، كما أخرج ابن أبي الحاتم من طريق الضحّاك عن ابن عباس أنه قال: «إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطن، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أخبر فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومُحكّم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجاءلِسُوا به العلماء، وجانِبُوا به السفهاء».° بناء على هذه المسألة أراد الباحث أن يعرض في هذا البحث ما يتعلّق بالتفسير الصوفي: تعريفه، وأقسامه، ومنهجه، وموقف العلماء فيه بين المدافعة والجحود، واتجاه هذا التفسير، وإتيان النموذجات عنه.

تعريف المصطلحات

في هذا المبحث يقوم الباحث بالبيان عن المصطلحات أو العبارات المتعلقة بموضوع البحث حتى يزول سوء الفهم ويتفقّ الباحث مع القارئ في القضايا التي يبحث فيها الباحث. وأول ما يريد البيان منها كلمة «اتّجاه» [مفرد]: ج اتّجاهات لها عدة معان: (١) مصدر اتّجّه إلى، (٢) طريق وسبيل، (٣) تهيؤ عقلي لمعالجة تجربة أو موقف من المواقف تصحبه عادةً استجابة خاصّة.^٦

ولكن فهد الرومي عرّف بتعريف آخر، أي أن هناك فرق بين الاتّجاه والطريق (الطريقة) والمنهج. فالاتّجاه هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون. والمنهج هو السبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم. وأما الطريقة هي الأسلوب الذي يطرقه المفسر

° محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت.)، ج. ٢، ٣٦٢.
^٦ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ط ١، ٨٠٠٢)، ج

عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه. وضرب للتوضيح ذلك مثلا: جماعة يريدون السفر إلى مدينة واحدة، وانطلقوا واتجاههم تلکم المدينة، ولكنهم سلكوا مناهج مختلفة، منهم من سلك المنهج البري، ومنهم من سلك المنهج الجوي، ومنهم من سافر بحرا. وهذه كلها مناهج لا اتجاه واحد. أما الطريقة فتظهر حيث أن أحد هؤلاء اتجه اتجاهها مباشرة إلى الهدف، وجعل آخرون سفرهم سياحة فلا يمرون باستراحة إلا واسترحوا فيها، ولا يمرون بمدينة أو قرية إلا ويتجولون فيها. ويفعلون هذا وهم سائرون على المنهج المؤدي إلى الاتجاه المراد لا يخرجون عنه بعيدا.^٧

موافقا بهذا البيان، كتب محمد علي الرضائي الإصفهاني في كتابه دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن أن أحد عوامل الاتجاهات في كتابة تفسير القرآن هو الرغبة والحاجة والضرورة الزمانية للمفسر. ومثال ذلك أن أحد المفسرين يعيش في حلة الحرب مع إسرائيل فيتخذ تفسيره طابعا حماسيا وجهاديا، أو قد يعيش في بلد تكون الحاجة فيه إلى حل مشكلة الأخلاقية، فيكتب تفسيراً تجاه هذه المشكلة. هذا هو المقصود من الاتجاه في التفسير.^٨

وأما كلمة «صوفي» اختلف العلماء والباحثون في تعريفها. قيل إنه لقب لا مصدر في اللغة العربية، وقيل هي مشتقة من «الصفاء»، وقيل إنها من الصفو بمعنى الصفاء أيضا. وقيل من الصف، لأن الصوفية في الصف الأول أمام الله، وقيل إنه نسبة لأهل الصفة، وكانوا قوما من فقراء المهاجرين والأنصار بنيت لهم صفة في مؤخرة مسجد الرسول ﷺ، وكانوا يقيمون فيها وكانوا معروفين بالعبادة. وقيل من كلمة «سوفيا» اليونانية التي معناها الحكمة. ولكن الدراسة العلمية أثبتت أن هذه الوجوه كلها بعيدة، والأصوب أنها مشتقة من «الصوف»، فيقال:

^٧ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، (الرياض: مكتبة التوبة، ٦١٤١هـ)، ٥٥-٦٥.

^٨ محمد علي الرضائي الإصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، (د.م: صدف، ط ١، ٤٢٢١ق/٣٨٣١ش)، ٤٢.

تصوف الرجل إذا لبث الصوف، وكان لبث الصوف شعارا للعباد والزهاد لأول نشأة الزهد، وكثير من الصوفية يذهبون إلى هذا الرأي الأخير، منهم الطوسي في اللمع، وابن خلدون، وآخرون.^٩

والصوفي طبعاً يتعلّق بالتصوف الذي عرّف التفتازاني معناه بفلسفة حياة تهدف إلى الترقّي بالنفس الإنسانية أخلاقياً، وتتحقق بواسطة رياضيات عملية معينة تؤدي إلى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى، والعرفان بها ذوقاً لا عقلاً، وثمرتها السعادة الروحية، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع وذاتية.^{١٠}

ومن هنا نعرف أن الصوفية كانوا معروفين بأنهم قائمون بترقية الأخلاق بطريق الزهد تقرّباً إلى الله. أي أنهم اختاروا الزهد منهج حياتهم اتجاهاً للتقرب إلى الله. والزهد في مفهوم الإسلام هو ارتفاع الإنسان بنفسه فوق شهواتها، وهذا بمعنى أن يتحرر تماماً من كل ما يعوق حريته.^{١١} ولذلك كان الزهد تركاً ما لا ينفع في الآخرة، فمن كان بقلبه الرغبة في الآخرة وأنه لا يعمل العمل إلا إذا كان نافعا له في الآخرة، فإن لا فإنه يتركه، فهذا هو الزاهد.

وأما التفسير كانت صورته تطوّرت بأطوار كثيرة حتى نجد صورته اليوم في بطون المؤلفات والتصانيف، بين مطبوع ومخطوط. والتفسير لغة: من الفسر، معناه الوضوح،^{١٢} الإيضاح والتبيين،^{١٣} والشرح والبيان،^{١٤} أي الكشف عن

^٩ أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، المدخل إلى التصوف الإسلامي، (القاهرة: دار الثقافة، ط ٣، دت)، ١٢-٠٢.

^{١٠} نفس المرجع، ٨.

^{١١} نفس المرجع، ٩٥.

^{١٢} أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، (بيروت: دار الفكر، ٩٩٣١ هـ/٩٧٩١ م)، ج ٤، ٤٠٥.

^{١٣} محمّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٥٩٩١)، ج ٢، ٦٠٢.

^{١٤} جمهورية مصر العربية، مجع اللغة العربية الإدارية العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٥٢٤١ هـ/٤٠٠٢ م)، ٨٨٦.

المغطى،^{١٥} كشف المراد عن اللفظ المشكل.^{١٦} قال الإمام الزركشي في البرهان: أما التفسير في اللغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف وأصله في اللغة من التفسير وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء فكما أنّ الطبيب بالتّظر فيه يَكشِف عن علّة المريض فكذلك المفسّر يَكشِف عن شأن الآية وقصصها ومعناها والسبب الذي أنزلت فيه وكأنه تسمية بالمصدر لأن مصدر فعل جاء أيضا على تفعلة نحو جَرَبَ تَجْرِبَةً وَكَرَّمَ تَكْرِمَةً.^{١٧} وقال أبو البقاء الكوفي في الكليات إن التفسير هو الاستبانة والكشف، والعبارة عن الشيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل. وقال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء، فيؤتي بما يزيله ويفسره.^{١٨}

وتفسير القرآن هو من العلوم الإسلامية، يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وانطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام،^{١٩} أي في القول الموجز هو بيان معاني القرآن الكريم.^{٢٠} وهو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات التازلة فيها ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها ومُحْكِمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومُطلَقها ومُقَيّدُها ومُجْمَلها ومُفسَّرها.^{٢١} عند الزرقاني التفسير هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.^{٢٢}

^{١٥} محمد بن صالح بن محمد العثيمين، أصول في التفسير، (د.م: المكتبة الإسلامية، ط ١، ٢٢٤١/هـ ١٠٠٢ م)، ص. ٣٢؛ أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرياض: مؤسسة سطور المعرفة، (١٤١١هـ)، ٤٥٣.

^{١٦} ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار الصادر، د.ت)، ج ٥، ٥٥.

^{١٧} بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط. ٣، ١٤١١هـ)، ج. ٢، ٧٤١.

^{١٨} أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ٦٢.

^{١٩} جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية الإدارية العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، ٨٨٦.

^{٢٠} محمد بن صالح بن محمد العثيمين، أصول في التفسير، (د.م: د.ط، د.س)، ٣٢.

^{٢١} بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان، (د.م: د.ط، د.س)، ٨٤١.

^{٢٢} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل، (د.م: د.ط، د.س)، ج. ٢، ٦.

وأما التفسير الصوفي كان له أسماء كثيرة متعدّدة، منها: التأويل الإشاري أو الرمزي أو العرفاني أو التفسير الروحي والأحرفي. وهي تسميات متعدّدة لمسمّى واحد، اختصّ به الصوفيّة. وعرف جعفر الصادق في حقائق التفسير ومصباح الشريعة أنّ التفسير الصوفي هو طريقة في أخذ الآية من حيث وقعها في النفس، ومن حيث إيجاءاتها الروحانية في تجربة الإيمان العميق.^{٢٣}

وبين محمد حسين الذهبي أنّ التصوّف ينقسم إلى قسمين: نظري وعملي. وكلّ من القسمين كان له أثر في تفسير القرآن الكريم، مما جعل التفسير الصوفي ينقسم أيضاً إلى قسمين: (١) التفسير الصوفي النظري (٢) التفسير الصوفي الفيضي أو الإشاري. والتفسير الصوفي النظري هو أن يقوم الصوفي بتفسير القرآن اعتماداً على عقله في البحث والدراسة. وقصده لإثبات النظرية من النظريات في تعاليمه. إذ أن القرآن جاء لهداية الناس لا لإثبات النظرية، ربما كانت في الغالب مستحدسة وبعيدة عن روح الدين وبداهة العقل.^{٢٤} وأما التفسير الصوفي الفيضي أو الإشاري هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة. والفرق بينه وبين التفسير الصوفي النظري في وجهين:

أولاً، أنّ التفسير الصوفي النظري يبني على مقدمات علمية تنقح في ذهن الصوفي أولاً، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك. أما التفسير الإشاري فلا يرتكز على مقدمات علمية بل على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

^{٢٣} جعفر الصادق، حقائق التفسير و مصباح الشريعة، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط. ١، ٣٩٩١)، ٣٥.

^{٢٤} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (د. ط، د. س)، ج. ٢، ١٥٢-٢٥٢.

وثانياً، أنّ التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنّه كلّ ما تحتمله الآية من المعاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه. وأما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنّه كلّ ما يراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كلّ شيء، وذلك وهو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.^{٢٥}

وجاء الشيخ صبّحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن يعرف «التفسير الإشاري» وهو ما تؤول به الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي.^{٢٦} وعند الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان أنّ «التفسير الإشاري» هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوّف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً.^{٢٧} هذه الإشارة الخفية تظهر في أهل العلم أو العارفين بالله، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقذت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة. وهو أن يرى المفسّر معنى آخر، غير معنى الظاهر تحتمله الآية الكريمة. ولكنه لا يظهر لكلّ إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه، وأنار بصيرته، وسلكه في ضمن عبادة الصالحين، الذين منحهم الله الفهم والإدراك، كما قال الله تعالى في سورة الكهف: ٥٦ عن قصة الحضر مع موسى عليهما السلام: «فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا». وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبي الذي ينال بالبحث والمذاكرة، وإنما هو من العلم اللدني أي الوهبي الذي هو أثر التقى والاستقامة والصلاح كما قال الله تعالى في سورة البقرة: ٢٨٢: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^{٢٨}

^{٢٥} نفس المرجع، ج. ٢، ١٦٢.

^{٢٦} صبّحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (بيروت: دار العلم للملايين، ٧٧٩١ م)، ٦٩٢.

^{٢٧} محمّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل، ج. ٢، ٦٦.

^{٢٨} محمّد علي الصابوني، التبيان، (د.م: د.ط، د.س)، ١٧١-٢٧١.

من هذه التعريفات كلها يستنبط الباحث أنّ التفسير هو كشف المعنى عن اللفظ الأصلي حتى يتبين ويسهل الاستنباط منه. وأما علاقته بالقرآن، فإنّه يكون علماً خاصاً يبحث فيه بيان معاني ألفاظ القرآن أي بيان كلام الله سبحانه وما يستفاد منها بقدر الطاقة البشرية. وأمّا تصوّف له سمتان، إما أن يكون نظرياً أو يكون عملياً، وكلاهما أثرا في تفسير القرآن الكريم. والتفسير الصوفي المقصود في هذا البحث هو التفسير الإشاري الذي هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، واعتمد الصوفي فيه على مجاهدة أو رياضة روحية لنيل الإشارات الخفية الموجودة في آيات القرآن. والاتجاه الصوفي الذي يكون موضوعاً لهذا البحث يتعلّق باتجاه تصوّف نفسه وهو ترقية الأخلاق. ومع هذا نعرف أنّ الاتجاه الصوفي في التفسير معناه الهدف الذي يتجه إليه الصوفي في بيان معاني ومضمون آيات القرآن الكريم. وأمّا حكم هذا التفسير اختلف العلماء فيه، وهم بين مؤيدين ومعارضين. وسيأتي بيانه بعد هذا.

حكم التفسير الصوفي

إنّ التفسير الصوفي لا يخلو من الجحود أو المعارضة من العلماء المسلمين لحجة متعددة. ومن يقوم بالمعارضة مثل فهد بن عبد الرحمن، أستاذ الدراسات القرآنية كلية المعلمين بالرياض، وقال إنّ الصوفي يطغى على النصّ وينبذ المعاني الظاهرة.^{٢٩} وقال الإمام الزركشي في البرهان: «إنّ كلام الصوفية في تفسير القرآن ليس بتفسير، وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة. والحق أنّ علم التفسير، منه ما يتوقف على النقل، كسبب النزول، والنسخ، وتعيين المبهم، وتبيين المجهول. ومنه ما لا يتوقف، ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر. فمن يقوم بالتفسير الصوفي فقد سلك مسلك الباطنية.»^{٣٠}

^{٢٩} فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث، (د.م: د.ط، د.س)، ٢١١.
^{٣٠} بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان، (د.م: د.ط، د.س)، ج ٢، ١٧١-١٧٢.

وقال ابن الصلاح في فتاويه: «وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر أنه قال: «صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر»، ثم يعقب على ذلك بقوله: «وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيء من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ومن ذلك، قتال النفس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ٣٢١]، فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإلهام والإلباس»^{٣١}

وأما قال النسفي في عقائده كما نقله الصابوني: «النصوص على ظاهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد». وقال التفتازاني في شرحه على العقائد: «سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم في ذلك نفى الشريعة بالكلية، وأما ما يذهب إليه بعض المحققين بأن النصوص على ظاهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عن أرباب السلوك، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان»^{٣٢}

وأما الذين قاموا بجواز التفسير الصوفي أنهم استدّلوا بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم. كان صاحب التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي رأى أنّ التفسير الصوفي أو الإشاري لم يكن بالأمر الجديد في إيراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ أشار إليه القرآن ونبه عليه الرسول ﷺ، وعرفه الصحابة

^{٣١} عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، فتاوى ابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، (بيروت: مكتبة العلوم والحكم، ٧١٤١ هـ)، ٦٩١-٧٩١.
^{٣٢} انظر محمد علي الصابوني، التبيان...، ٤٧١.

رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به.^{٣٣}

وإشارة القرآن إلى حجية التفسير الصوفي فيما يلي:

أولاً، ﴿أَفَلَا يَتَذَبُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [محمد: ٤٢]. قال الشيخ خالد عبد الرحمن العك في أصول التفسير وقواعده في بيان هذه السورة، إنَّ بهذه الآية أشار الله تعالى إلى أنَّ الكفار لا يكادون يفقهون حديثاً، فيحضمهم على التدبر في آيات القرآن، ليعقلوا معانيه ويدركوا مراميها. وهو سبحانه لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام الكريم، أو حضمهم على فهم ظاهره. لأنَّ العرب المشركين كانوا يدركون ظاهر القرآن ولا شك، وأراد الله تعالى بذلك: أنهم لا يفهمون عنه سبحانه مراده من الخطاب، فخضهم على أن يتدبروا في آياته حتى يقفوا على مقصود القرآن ومراده. وتلك هي إشارات التي جهلها ولم يصلوا إليها بعقولهم، لعامل الكفر والجحود في قلوبهم.^{٣٤}

ثانياً، ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. هذه الآية هي تنبيه من الله تعالى أنَّ هناك قوم لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به، من أن كل ما أصابهم من خير أو شر، أو ضرر وشدة ورخاء، فمن عند الله، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يصيب أحداً سيئة إلا بتقديره، ولا ينال رخاءً ونعمة إلا بمشيئته. وهذا إعلام من الله عباده أن مفاتيح الأشياء كلها بيده، لا يملك شيئاً منها أحد غيره.^{٣٥}

ثالثاً، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٢٨]. قال الإمام البيضاوي إنَّ أصل التدبر هو النظر

^{٣٣} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون...، ج. ٢، ١٦٢-٢٦٢.

^{٣٤} خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت: دار النفائس، ٦٨٩١)، ٧٠٢.

^{٣٥} محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٤١، ١/هـ/ ٢٠٠٢ م)، ج ٨، ٧٥٥.

في أدبار الشيء.^{٣٦} وهذه الآية هي إشارة المعاني بغوص الأفكار، واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاستنباط.^{٣٧}

رابعاً، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٧٣]. عند الإمام الرازي «الذِّكْرَى» اسمٌ مَصْدَرٌ هُوَ التَّدَكُّرُ وَالتَّذْكِرَةُ وَهِيَ فِي نَفْسِهَا مَصْدَرٌ ذَكَرَهُ يَذْكُرُهُ ذِكْرًا وَذِكْرَى وَقَوْلُهُ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ قِيلَ الْمُرَادُ قَلْبٌ مَوْصُوفٌ بِالْوَعْيِ، أَي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَاع.٣٨ وقال ابن كثير: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ أَي: لَعِبْرَةٌ ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أَي: لُبٌّ يَجِي بِهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَقْلٌ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أَي: اسْتَمَعَ الْكَلَامَ فَوَعَاهُ، وَتَعَقَّلَهُ بِقَلْبِهِ وَتَفَهَّمَهُ بِلُبِّهِ.^{٣٩}

خامساً، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٨١]. هذه الآية إشارة «أُولُو الْأَلْبَابِ» أي أصحاب العقول من المؤمنين الذين انتفعوا بعقولهم.^{٤٠} وأولئك الذين هداهم الله تعالى إلى دينه الحق، وإلى الصراط المستقيم، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة، والمدارك القويمة، والقلوب الطاهرة النقية.^{٤١}

وأما إشارة الحديث النبويّ إليه: أولاً، تنبيه الرسول ﷺ في الحديث الذي أخرجه الفريابي من رواية الحسن مرسلًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لكل آية

^{٣٦} ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٨١٤١ هـ)، ج ٢، ٦٨.
^{٣٧} عبد الكريم القشيري، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ٢٠٠٢)، ج ١، ٥٣.
^{٣٨} فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ٢٠٤١ هـ)، ج ٨٢، ٥١.

^{٣٩} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٤١ هـ/١٩٩١ م)، ج ٧، ٩٠٤.
^{٤٠} شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ٤٨٣١ هـ/١٩٦١ م)، ج ٥١، ٤٤٢.
^{٤١} محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (الفيجالة - القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٨٩٩١)، ج ٢١، ٩٠٢.

ظهر وبطن، ولكل حرف حد، وكل حد مطلع» وفي الحديث الذي أخرجه الديلمي من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «القرآن تحت العرش، له ظهر وبطن يُحاج العباد». ففي هذين الحديثين تصريح بأن القرآن له ظهر وبطن.^{٤٢}

ثانياً، رواه البخاري عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: «كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول».^{٤٣}

وهذا الفهم من ابن عباس لم يفهمه بقية الصحابة، وإنما فهمه عمر وفهمه ابن عباس، وهو من التفسير الإشاري الذي يلهمه الله من شاء من خلقه، يطلع عليه بعض عباده، فالسورة الكريمة فيها نعي للنبي ﷺ وإشارة إلى دنو أجله.^{٤٤} ومثل هذا ما ورد في الحديث الشريف: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمٌ أَبُو النَّضْرِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسَ

^{٤٢} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون...، ج. ٢، ٢٦٢.

^{٤٣} محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ٢٢٤١هـ، ج ٦، ٩٧١، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]

^{٤٤} محمد علي الصابوني، التبيان...، ٣٧١.

وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجِبْنَا لِجَاثِيهِ: أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيْرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سَدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».^{٥٥}

ثالثا، ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى في الآية [٣] من سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.. فرح الصحابة وبكى عمر رضی الله تعالى عنه وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعراً نعيه عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج ابن أبي شيبة: «أن عمر رضی الله تعالى عنه لما نزلت الآية بكى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك؟» قال: أبكاني أننا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص، فقال عليه الصلاة والسلام: «صدقتم»».^{٥٦}

من البيان المتقدم يستنبط الباحث أنّ الخلاف في إثبات حجية التفسير الصوفي بسبب عدم الاتفاق في تعريف هذا التفسير. ولا شك في أنّ بعض المتصوّفين ينحرفون عن منهج القرآن والسنة في عمليتهم.^{٥٧} ولكن ليس من موقف العالم أن يقوم بالتعميم أنّ كلّ المتصوّفين مخطئون ومضللون. لأنّ هناك الصوفية الخالصون سلكوا مسلك النبي ﷺ في عمليتهم، مثل الإمام القشيري، والإمام الهروي، والإمام الطوسي، والإمام أبو حامد الغزالي، وغيرهم. وهم نالوا معرفة من الله تعالى بطريقة المجاهدة والرياضة الروحانية. ويتعلّق بهذا قال

^{٥٥} محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ٤، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر»

^{٥٦} محمود شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، (بيروت: إدارة الطباعة المنيرية - تصوير دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج ٦، ٦٠٠.

^{٥٧} أبو الوفاء الغيني التفتازاني، المدخل...، ٧٤١.

الإمام السيوطي بأن هناك معرفة يعرفها العبد بوسيلة قلبه، وبه يبصر العبد الأمور الدينية والأمور الغيبية التي وعد الله. أخذ الإمام السيوطي هذا التقرير مستدلاً بما أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، عن خالد بن معدان قال: ما من عبد إلا له أربع أعين؛ عينان في وجهه يبص ربهما دنياه وما يصلحه من معيشته، وعينان في قلبه يبص بهما دينه وما وعد الله بالغيب.^{٤٨} ولذلك رغم أن في بعض التفسير الصوفي الانحراف عن المنهج النبوي، وليس كله يكون على شكل سواء. ومن هنا يظهر لنا الفرق جلياً بين التفسير الإشاري الممدوح الذي هو التفسير العارفين بالله مع التفسير الباطني المذموم الذي يحرف أصحابه معاني القرآن الكريم. وجدير بنا أن نعرف من هم الباطنية. نقلاً من الإمام الرزقاني^{٤٩} أنهم قوم رفضوا الأخذ بظاهر القرآن وقالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه دون ظاهره ويستدلون بقوله تعالى: {فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بِابٍ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} وهم فرق متعددة على المثال الآتي:

أولاً، القرامطة: نسبة إلى حمدان قرمط إحدى قرى واسط وهو الذي تزعمهم فيما ذهبوا إليه.

ثانياً، الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق وذلك لأنهم كانوا يعتقدون الإمامة فيه وقيل إنهم سمو إسماعيلية لانتسابهم إلى محمد بن إسماعيل.

ثالثاً، السبعية: نسبة إلى عدد السبعة ذلك لأنهم يعتقدون أن في كل سبعة إماماً يقتدى به.

رابعاً، الحرمية نسبة إلى الحرمة وذلك لأنهم يستباحون الحرمات.

خامساً، البابكية نسبة إلى زعيمهم بابك الخرمي الذي خرج بأذربيجان.

^{٤٨} جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ٢٠٠٢)، ج. ٣١، ٧٣٣.
^{٤٩} محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل، ج. ٢، ٣٦.

سادسا، المحمرة سموا بذلك للبسهم الحمرة.

نظرا من هذا البيان أن هناك فرق ظاهر وبعيد بين التفسير الباطني والتفسير الإشاري. وأصحاب التفسير الإشاري لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يقولون إنّه هو الأصل والأساس، ويحضون عليه. والقيام بمعرفة الظاهر لا بد أن يكون في الأول. فمن ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر، يكون كمن ادّعى بلوغ سطح البيت قبل أن يلج الباب. وأما أصحاب التفسير الباطني فإنهم يقولون إنّ الظاهر غير مراد أصلا، وإنما المراد الباطن وقصدهم من وراء هذا الكلام نفي الشريعة وإبطال الأحكام، وهذا بلا شك إلحاد في الدين.^{٥٠} أي أن التفسير الإشاري ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان.^{٥١}

شروط قبول التفسير الإشاري

من المعلوم أنّ لكلّ علم من العلوم ولكل فن من الفنون شروطا وضوابط لا بد من أخذها عند الاشتغال به، وعند عدم تطبيقها يحصل الخطأ في ذلك العمل العلمي. وإن العلماء قد وضعوا شروطا لجواز قبول التفسير الإشاري. ولكن قبل أن يعرض الباحث هذه الشروط، يريد بعرض شروط المفسّر الذي وضعها العلماء المسلمون وعرض أسباب الخطأ في التفسير حتى يتحقق لنا أن الصوفي يستوفي شروط المفسّر ولا يقع في الخطأ.

أولا، شروط المفسّر، وهي^{٥٢}:

١. صحة العقيدة، لأن صحة العقيدة لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما

^{٥٠} المرجع نفسه، ج. ٢، ٧٦.

^{٥١} أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع الثستري، تفسير التستري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي، (العتبة: دار الحرم للتراث، ط ١، ٤٠٠٢)، ٥٤.

^{٥٢} محمد أحمد محمد معبد، نفحات من علوم القرآن، (القاهرة: دار السلام، ط ٢، ٦٢٤١ هـ / ٥٠٠٢ م)، ٧٥١-٩٥١.

- يتأثر به الإنسان يظهر في كلامه منطوقا ومكتوبا.
٢. التجرد عن الهوى، فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصره مذهبهم ولو كانت على غير حق.
٣. أن يطلب تفسير القرآن بالقرآن، فإن بعض القرآن يفسر بعضه
٤. أن يطلب تفسير القرآن بالسنة النبوية، وذلك لأن السنة شارحة للقرآن وموضحة له، وقد ذكر القرآن الكريم أن أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم التي كان يحكم بها هي وحي من الوحي وقد بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [سورة النساء: ٥٠١]
٥. أن يطلب تفسير القرآن بأقوال الصحابة، لأنهم أدرى بذلك من مشاهدتهم للعديد من القرائن والأحوال والحوادث عند نزول القرآن الكريم.
٦. أن يطلب تفسير القرآن بأقوال التابعين. إذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة. فإنه يرجع إلى أقوال التابعين وقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، والحسن البصري وغيرهم، ومن التابعين من تلقى التفسير عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.
- وثانيا، أسباب الخطأ في التفسير، هي: ^{٥٣}
١. العدول عن مصادر التفسير الأصلية وأصوله الصحيحة الثابتة.
٢. عدم الدقة في فهم نصوص الآيات ومدلولاته.
٣. إخضاع النصوص القرآنية للأهواء والتعصبات والبدع.

^{٥٣} انظر: طاهر محمود محمد يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير: دراسة تأصيلية، (الرياض: دار ابن الجوزي، ط ١، ٥٢٤١ هـ)، ج ١-٢.

٤. القصور في بعض الشروط اللازمة في التفسير، مثل القصور في تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين، والإعراض عن منهج السلف الصالح، والجهل بقواعد اللغة العربية، والابتعاد عن فهم مقاصد نزول القرآن وأهدافه الأصلية.

كان المفسر لا بد أن يستوفي تلك الشروط المتقدمة، وفي نفس الوقت أيضا أن يلاحظ ويحتمل أسباب خطأه ليكون تفسيره غير سقيم. وإذا طالعنا النظر إلى التفسير الإشاري للصوفي، كان له شروط قبوله خاصة. وعلى الصوفي بجانب استيفاء شروط المفسر والاجتناب عن أسباب الخطأ المتقدمة، لا بد أن يراعي ويهتم إلى شروط قبول التفسير الإشاري الآتية، وهي:°

١. ألا يكون التفسير الإشاري أن يتنافى وما يظهر من معنى النظم القرآني.
٢. ألا يدعى أنه هو المراد وحده دون الظاهر، أو باقي وجوه التفسير.
٣. ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
٤. أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.
٥. ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٩٦] بجعل كلمة ﴿لَمَعَ﴾ ماضيا وكلمة ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ مفعوله.°

اتجاه الصوفي ومنهجه في التفسير

كما اتضح لنا أن الاتجاه هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون، والمنهج هو السبيل التي

° خالد عبد الرحمن العك، أصول، ٨٠٢.
° زاد الإمام الزرقاني الشرط الخامس في كتابه. انظر محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل، ج. ٢، ٨٦.

تؤدي إلى هذا الهدف المراد. كما أن اتجاه الصوفية في التصوف هو ترقية الأخلاق كان اتجاههم في التفسير متأثرا به أيضا. أي كان اتجاه الصوفية في تفسيرهم متعلقا باتجاههم في الحياة، وهو ترقية الأخلاق. وكل تفسير يعمل الصوفية تجاه هذا الشيء. وأما المنهج الذي استخدموها في التفسير إما أن يكون إشاريا وإما أن يكون نظريا. والمعروف عندنا بعد الميان السابق أن التفسير النظري هو المذموم والتفسير الإشاري هو المدوح.

فمنهج التفسير الإشاري هو الكشف عن معنى آيات القرآن خلاف النصوص الظاهرة. ولكن أصحاب التفسير الإشاري لا يمنعون أو ينكرون إرادة الظاهر، بل رأوا أنّ ظاهر الآية هو الأصل والأساس، والقيام بمعرفة الظاهر لا بد أن يكون في الأول، وأما القيام بما وراء الظاهر يكون بعده. ولذلك لم يكن الإمام التستري يقتصر في تفسيره على المعاني الإشارية وحدها، بل نجده يذكر أحيانا المعاني الظاهرة، ثم يعقبها بالمعاني الإشارية، وقد يقتصر أحيانا على المعنى الإشاري وحده، كما يقتصر أحيانا على المعنى الظاهري، بدون أن يعرج على باطن الآية.

مثال التفسير الصوفي

ومن الكتب المشهورة في التفسير الصوفي هي تفسير التستري وتفسير الألوسي وتفسير محيي الدين بن عربي. وهنا بيان عنها:

أولا، تفسير التستري

صاحب هذا التفسير هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري. ترجع نسبته (التستري) وإلى مدينة تستر، وهي من أعظم مدن خوزستان.^{٦٥} ووجه الإشارة في هذا التفسير مثاله في تفسير

^{٦٥} أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر

قوله تعالى سورة البقرة: ٥٤: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۗ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾. قال عنها: «الصبر هاهنا الصوم والصلاة وصلوة المعرفة، فمن صحت له الصلاة، وهي الوصلة، لم يبق له على الله تهمة، إذ السؤال تهمة، ولا يبقى السؤال مع الوصلة، ألا ترى إلى قوله: وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ [٥٤].»^{٧٧}

وفي سورة البقرة: ٥٥: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ووضع الإمام التستري معنى الصاعقة: الموت، والصاعقة: كل عذاب مهلك ينزله الله تعالى بمن يشاء من عباده، فينظرون إلى ذلك عياناً، ويريه غيرهم فيهم اعتباراً وتحذيراً.^{٧٨} هذا المعنى خلاف ما شاع في مفهوم الجامع أنّ الصاعقة هي نارٌ من السماء أو صيحةٌ منها.^{٧٩}

ثانياً، تفسير الأوسي

هو طود العلم وعضد الدين وفحل البلاغة وأمير البيان وعين الأعيان وإنسان عين الزمان، العلامة محمود بن عبد الله الحسيني الأوسي، شهاب الدين أبو الثناء. ولد في بغداد في شهر شعبان سنة ٧١٢١ هـ: ٦٠٥ كان الإمام الأوسي بعد أن يوفي الكلام على ظاهر معنى الآية أو الآيات يقول: «من باب الإشارة». مثال ذلك أنه قال بعد التفسير الظاهر لقوله تعالى سورة البقرة: ٢٤: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قال: «ومن باب الإشارة في قوله تعالى: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ الْخُ أَي لا تقطعوا على أنفسكم طريق الوصول إلى الحق بالباطل

عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ٤٣٤١ هـ / ٣٠٠٢ م)، ٦٦١؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الإصفياء، (بيروت: دار الفكر، ٦١٤١ هـ / ٦٩٩١ م)، ٠٩١.

^{٧٧} أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، تفسير التستري...، ٧٩. نفس المرجع، ٧٩.

^{٧٨} http://quran.ksu.edu.sa/index.php?l=en#aya=2_55&trans=ar_ma3any

^{٧٩} بلال علي العسلي، «منهج الإمام الأوسي في القراءات وأثرها في تفسيره (روح المعاني)»، رسالة الماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين (غزة: الجامعة الإسلامية غزة، ٣٤١ هـ / ٩٠٠٢ م)، ٦٢-٧٢.

الذي هو تعلق القلب بالسوي- فإن أصدق كلمة قالها شاعر- كلمة لبيد.^{٦١}

ثم عندما فسّر الآية: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٥]. قال الإمام الألويسي في آخر البيان: «الإشارة في الآية أن البحر هو الدنيا وماءه شهواتها ولذاتها، وموسى هو القلب، وقومه صفات القلب، وفرعون هو النفس الأمارة وقومه صفات النفس، وهم أعداء موسى وقومه يطلبونهم ليقتلوهم، وهم سائرون إلى الله تعالى، والعدو من خلفهم، وبحر الدنيا أمامهم ولا بد لهم في السير إلى الله تعالى من عبوره ولو يخوضونه بلا ضرب عصا لا إله إلا الله بيد موسى- القلب فإن له يدا بيضاء في هذا الشأن - لغرقوا كما غرق فرعون وقومه ولو كانت هذه العصا في يد فرعون النفس لم ينفلق فكما أن يد موسى القلب شرط في الانفلاق كذلك عصا الذكر شرط فيه، فإذا حصل الشرطان وضرب موسى بعضا الذكر مرة بعد أخرى ينفلق بإذن الله بحر الدنيا بالنفي وينشبك ماء الشهوات يمينا وشمالا، ويرسل الله تعالى ريح العناية، وشمس الهداية على قعر ذلك البحر فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخرج موسى وقومه بعناية التوحيد إلى ساحل النجاة ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٢٤] ويقال لفرعون وقومه إذا غرقوا وأدخلوا نارا ألا: ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].^{٦٢}

ثالثا، تفسير ابن عربي

كان اسمه الكامل محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي، محي الدين بن عربي، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين «بالشيخ الأكبر». وأما نسبة ابن عربي بالتعريف فإنها نسبة إلى الإمام العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي، الأشبيلي

^{٦١} شهاب الدين السيد محمود الألويسي، روح المعاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)،

ج ١، ٧٤٢.

^{٦٢} نفس المرجع، ج ١، ٦٥٢-٧٥٢.

المالكي.^{٦٣} ومن تفسيره الإشاري قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. أشار ابن العربي أنّ المرأة تقابل النفس في الاعتبار، والحيض في هذه الآية هي الكذب، والطهارة هي الصدق. أي أنّ الحيض كالكذب على الله ورسوله ﷺ. الحيض يمنع عن العبادة والكذب أيضا. وأما الاعتبار في الاغتسال من الحيض، فيجب تطهير القلب من لمة الشيطان.^{٦٤}

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَتَبَلَّوْهُمُ أَهْلُهَا أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] أشار ابن العربي معنى الزينة فيه رجال الله وهم أحسن الزينة على الأرض.^{٦٥} ثم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦]. كانت إشارة هذه الآية أنه من لم ير أن يكون عبدا لي (الله) كما هو في نفس الأمر، فإنه سيكون عبدا لطبيعته التي هي جهنم.^{٦٦}

هذه هي الأمثلة عن التفسير الإشاري من بعض المتصوفين المشهورين. نظرا مما كتبوا أنهم عندما فسروا معاني الآيات القرآنية لم يتركوا المعاني الظاهرة لتلك الآيات، بل قاموا بتفسير ظاهر الآية في الأول ثم قاموا بما وراء الظاهر بعده.

^{٦٣} عبد القادر بن حبيب الله السندي، كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق، (القاهرة: مطابع ابن بيمية، ط ١، ١١٤١ هـ/١٩٩١ م)، ج ٢، ٧-١١.

^{٦٤} محمود محمود الغراب، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، (دمشق: نضر، ١٤١ هـ/١٩٩١ م)، ج ١، ٦٣٣.

^{٦٥} نفس المرجع، ج ٣، ٣.

^{٦٦} نفس المرجع، ج ٤، ٣٢.

خاتمة

سعى هذا البحث إلى القيام بتحليل الاتجاه الصوفي في التفسير. وقد استطاع ذلك التحليل على أن يتوصل إلى نتيجة أساسية وهي: أنّ التفسير هو كشف المعنى عن لفظ الأصل حتى يتبين ويسهل الاستنباط منه. وأما تفسير القرآن هو علم خاصّ يبحث فيه بيان معاني ألفاظ القرآن أي بيان كلام الله سبحانه وما يستفاد منها بقدر الطاقة البشرية. وأما التفسير الصوفي ينقسم إلى قسمين حسب سمته، إما أن يكون نظرياً أو يكون عملياً، والذي يكون على أساس النظر معروف بالتفسير الباطني، وهو مضموم. وأما الذي يكون على أساس العمل معروف بالتفسير الإشاري، وهو ممدوح.

وكان الاتجاه الصوفي في التفسير معناه الهدف الذي يتجه إليه الصوفي في بيان معاني ومضمون آيات القرآن الكريم. وكان اتجاه الصوفية في تفسيرهم متعلقاً باتجاههم في الحياة، وهو ترقية الأخلاق. وأما منهج التفسير الإشاري بالكشف عن معنى آيات القرآن خلاف النصوص الظاهرة. ولكن أصحاب التفسير الإشاري لا يمتنعون أو ينكرون إرادة الظاهر، بل رأوا أنّ ظاهر الآية هو الأصل والأساس، والقيام بمعرفة الظاهر لا بد أن يكون في الأول، وأما القيام بما وراء الظاهر يكون بعده. []

مصادر البحث

أ. من الكتب العربية

- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن. ٧١٤١ هـ. فتاوى ابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر. بيروت: مكتبة العلوم والحكم.
- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس. ٩٩٣١ هـ/٩٧٩١ م. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.

- ابن كثير. ١٠٤١هـ/٩٩٩١م. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. (ط ٢). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن منظور. د.ت. لسان العرب. بيروت: دار الصادر.
- الإصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. ٦١٤١ هـ/ ٦٩٩١ م. حلية الأولياء وطبقات الإصفياء. بيروت: دار الفكر.
- الإصفهاني، محمد علي الرضائي. ٤٢٢١ ق/٣٨٣١ ش. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن. (ط ١). د.م: صدف.
- الألوسي، محمود شكري. د.ت. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني. بيروت: إدارة الطباعة المنيرية - تصوير دار إحياء التراث العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. ٢٢٤١هـ. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط ١). بيروت: دار طوق النجاة.
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. ٤٨٩١. البرهان في علوم القرآن. (ط ٣). القاهرة: مكتبة دار التراث.
- البيسيوني، إبراهيم. ١٠٠٢. لطائف الإشارات. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله. ٨١٤١ هـ. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط ١). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- التُّستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن ربيع. ٤٠٠٢. تفسير التُّستري. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد و سعد حسن محمد علي. (ط ١). العتبة: دار الحرم للتراث.
- التفتازاني، أبو الوفاء الغنيمي. د.ت. المدخل إلى التصوّف الإسلامي. (ط ٣). القاهرة: دار الثقافة.

جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. ٥٢٤١ هـ/٤٠٠٢ م. المعجم الوسيط. (ط ٤). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

الحنفي، أبو البقاء. د.ت. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، محمد حيسن. د.ت. التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة.

الرازي، فخر الدين. ٥٢٤١ هـ. مفاتيح الغيب. (ط ٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. ٦١٤١ هـ. بحوث في أصول التفسير ومناهجه. الرياض: مكتبة التوبة.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. ٥٩٩١ هـ. مناهل العرفان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتاب العربي.

السلبي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. ٤٣٤١ هـ/٣٠٠٢ م. طبقات الصوفية. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. (ط ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

السندي، عبد القادر بن حبيب الله. ١١٤١ هـ/١٩٩١ م. كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق. (ط ١). القاهرة: مطابع ابن بيمية.

السيوطي، جلال الدين. ٣٠٠٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

الصابوني، محمد علي. د.ت. التبيان في علوم القرآن. تهران: دار إحياء التراث العربي.

الصادق، جعفر. ٣٩٩١. حقائق التفسير ومصباح الشريعة. (ط ١). بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

- الصالح، صبحي. ٧٧٩١ م. مباحث في علوم القرآن. بيروت: دار العلم للملايين.
- طاهر محمود محمد يعقوب. ٥٢٤١ هـ. أسباب الخطأ في التفسير: دراسة تأصيلية. (ط ١). الرياض: دار ابن الجوزي.
- الطبري، محمد بن جرير. ٢٤١ هـ / ٠٠٠٢ م. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط ١). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، محمد سيد. ٨٩٩١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. (ط ١). الفجالة - القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. ٢٢٤١ هـ / ١٠٠٢ م. أصول في التفسير. (ط ١). د.م: المكتبة الإسلامية.
- العسلي، بلال علي. ٣٤١ هـ / ٩٠٠٢ م. «منهج الإمام الألويسي في القراءات وأثرها في تفسيره (روح المعاني)»، رسالة الماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين. غزة: الجامعة الإسلامية غزة.
- العك، خالد عبد الرحمن. ٦٨٩١. أصول التفسير وقواعده. بيروت: دار النفائس.
- عمر، أحمد مختار. ٣٢٤١ هـ. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته. الرياض: مؤسسة سطور المعرفة.
- عمر، أحمد مختار. ٨٠٠٢. معجم اللغة العربية المعاصرة. (ط ١). القاهرة: عالم الكتب.
- الغراب، محمود محمود. ١٤١ هـ / ٩٨٩١ م. رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي. دمشق: نضر.
- القرطبي، شمس الدين. ٤٨٣١ هـ / ٤٦٩١ م. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط ٢). القاهرة: دار الكتب المصرية.